

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ﴾ [إبراهيم: 35]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بيان كفرهم
بالنعم الخاصة
بهم، بعدما
كفروا بالنعم
العامّة

لَمَّا انْقَضَى الْمَأْمُورُ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ لِكَافِرِ النُّعْمَةِ وَشَاكِرِهَا، وَسَبَبِ ذَلِكَ وَالِدَلِيلِ عَلَيْهِ، وَبَأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا وَرَبُّهَا، فَلَا يَصِحُّ أَصْلًا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهَا شَرِيكًا، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهٖ ﷺ أَنْ يُذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَبْدِيلِهِمُ النُّعْمَةَ ظُلْمًا مِنْهُمْ وَكُفْرًا، فِي أُسْلُوبٍ دَالٍّ عَلَى الْبُعْثِ مُشِيرٍ إِلَى وَجوبِ بَرَاءَتِهِمْ مِنَ الْأَصْنَامِ، حَيْثُ كَانَ مُحِطًا حَالِهِمْ فِيهَا تَقْلِيدُ الْآبَاءِ، وَلَمَّا كَانَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ أَعْظَمَ آبَائِهِمْ، وَأَنَّهُ سَنَّ لَهُمْ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ، وَشُكْرَهُمْ لِنِعْمِهِ بِالْإِنْفَاقِ وَغَيْرِهِ، قَالَ نَاعِيًا عَلَيْهِمْ عَقُوقَ أَبِيهِمُ الْأَعْظَمِ: وَادَّكَرَ لَهُمْ مُذَكِّرًا بِأَيَّامِ اللَّهِ خَبَرَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ الْقَفْرَ الَّذِي وَضَعْتُ بِهِ وَلَدِي بَلَدًا عَظِيمًا آمِنًا، وَاصْرِفْنِي وَبَنِيَّ عَنِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿ءَامِنًا﴾: أَصْلُ الْأَمْنِ: طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وَزَوَالُ الْخَوْفِ، يُقَالُ: أَمِنْتُ الرَّجُلَ أَمْنًا وَأَمَنَةً وَأَمَانًا، وَبَيْتٌ آمِنٌ: ذُو أَمْنٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: 57]⁽²⁾، وَكَمَا هُنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾؛ أَيُّ: ذَا أَمْنٍ⁽³⁾.

(2) ﴿وَاجْنُبْنِي﴾: (جَنَبَ): اجْتَنَبَ، وَجَنَّبْتُهُ عَنْ كَذَا: أَبْعَدْتُهُ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/425.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتِ: (أَمْن).

(3) الشَّوْكَانِيُّ، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 2/153.

والجُنُب: البُعِيد، قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: 36]، وَرَجُلٌ جُنُبٌ وجَانِبٌ، قَالَ ﷺ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: 31]، وَجُنُبَهُ الشَّيْءُ تَجَنُّبًا؛ أَي: نَحَاهُ عَنْهُ وَجَعَلَهُ نَاحِيَةً مِنْهُ وَجَانِبًا، وَكَذَلِكَ جُنُبَتُهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّلُغُوتَ﴾ [الشحل: 36]؛ أَي: أَتْرَكُوهُ بِالْكَلِيَّةِ⁽¹⁾، وَمِنْهُ قَوْلُهُ هُنَا: ﴿وَأَجُنُبِيَّ وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾؛ أَي: بَاعِدْنِي وَبَاعِدْ بَنِيَّ⁽²⁾.

❁ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

يَذْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَقَامِ مُحْتَجًّا عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ بِأَنَّ الْبَلَدَ الْحَرَامَ مَكَّةَ إِنَّمَا وُضِعَتْ أَوَّلَ مَا وُضِعَتْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَتْ بِسَبَبِهِ عَامِرَةٌ أَهْلَةً، تَبَرَّأَ مِمَّنْ عَبْدَ غَيْرِ اللَّهِ، وَدَعَا لِمَكَّةَ بِالْأَمْنِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَقَالَ: ﴿أَوَّلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت: 67]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [١٦] فِيهِ ءَايَتٌ بَيَّنَّتْ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: 96-97]، وَدَعَا لِنَفْسِهِ وَلِبَنِيهِ أَنْ يُجَنَّبَهُمُ اللَّهُ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، الَّتِي تَفْتِنُ النَّاسَ وَتُقْصِيهِمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْعِبُودِيَّةِ لَهُ لَا لِأَحَدٍ سِوَاهُ⁽³⁾.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

بَلَاغَةُ تَلْوِينِ الْخَطَابِ:

غَيَّرَ الْبَيَانَ الْقِرَآنِيَّ أَسْلُوبَ الْإِمْتِنَانِ بِذِكْرِ النِّعَمِ الْعَامَّةِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، إِلَى أَسْلُوبِ الْحِكَايَةِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ؛ لِإِدْمَاجِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْتَزُّونَ بِبُتُونَتِهِمْ لَهُ وَيَتَفَاخَرُونَ بِهَا، وَفِي هَذَا إِجْعَاءٌ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ خَالَفُوا مَنْ يَعْتَزُّونَ بِهِ، فَقَدْ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ الَّتِي كَاذِبَةٌ لِقَوْمِهِ،

دعوة إبراهيم
بالأمن لمكة،
واجتناب عبادة
الأصنام

الإيماء بعقوب
ذرية إبراهيم
من المشركين

(1) الرَّاغِب، الْمُفْرَدَات، وَابْنُ مَنْظُور، لِسَانُ الْعَرَبِ: (جُنُب).

(2) الشُّوْكَانِيُّ، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 2/153.

(3) ابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 2/495.

فجعلهم جُذًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: 120 - 121] (1).

دلالة الواو في ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾:

عَطَفَتِ الْوَائُ
إِهْمَالُ الشُّكْرِ
عَلَى تَبْدِيلِ
النَّعْمَةِ بِالْكَفْرِ

عطفَتِ الواوُ جملة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ على جملة: ﴿*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: 28]، فإنَّهم كما بدلوا نعمة الله كُفْرًا، أهملوا الشُّكْرَ على ما بَوَّاهُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ بِإِجَابَةِ دَعْوَةِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وبدلوا أَقْدَاءَهُمْ بِسَلَفِهِمُ الصَّالِحِ أَقْدَاءً بِأَسْلَافِهِمْ مِنَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ، وبدلوا دُعَاءَ سَلَفِهِمُ الصَّالِحِ لَهُمْ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ كُفْرًا بِمُفْيِضِ تِلْكَ النِّعَمِ.

عَطَفَتِ الْوَائُ
خُصُوصُ النِّعَمِ
عَلَى عُمُومِهَا

ويجوزُ أَنْ تَكُونَ الْوَائُ عَطَفَتْ جُمْلَتَهَا عَلَى جملة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: 32]، بِأَنْ انْتَقَلَ مِنْ ذِكْرِ النِّعَمِ الْعَامَّةِ لِلنَّاسِ، الَّتِي يَدْخُلُ تَحْتَ مِثْلِهَا أَهْلُ مَكَّةَ بِحُكْمِ الْعُمُومِ، إِلَى ذِكْرِ النِّعَمِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ (2).

مُخَالَفَةُ النَّبِيِّ
عَقُوقٌ يَسْتَحِقُّ
الذَّمَّ

ويجوزُ أَنْ تَكُونَ الْوَائُ عَطَفَتْ جُمْلَتَهَا عَلَى مَا تَقْدِّمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم: 31]، نَاعِيًا عَلَيْهِمْ مَعَ مُخَالَفَتِهِمْ لَصَرِيحِ الْعَقْلِ وَقَاطِعِ النُّقْلِ، عَقُوقُ أَبِيهِمُ الْأَعْظَمِ ﷺ (3).

فائدة ﴿وَإِذْ﴾ وَسِرُّ حَذْفِ مُتَعَلِّقِهَا:

زِيَادَةُ التَّعْجِيبِ
مِنْ شَأْنِ
الْمُشْرِكِينَ فِي
كُفْرِهِمْ نِعْمَةً
الِلهِ، وَعَدَمُ
شُكْرِهَا

﴿وَإِذْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ اسْمُ زَمَانٍ مَاضٍ مَنْصُوبٍ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ لِفِعْلِ مُحْذُوفٍ شَائِعِ الْحَذْفِ فِي أَمْثَالِهِ، تَقْدِيرُهُ: وَادَّكَرَ (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ)، زِيَادَةُ فِي التَّعْجِيبِ مِنْ شَأْنِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي مَرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿*أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: 28]، فَمَوْقِعُ الْعِبَرَةِ مِنَ الْحَالِيِّينَ وَاحِدٌ، وَقَدْ وَرَدَ نَظِيرُ هَذَا التَّعْلُقِ فِي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/424، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/238.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/238.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/424.

سياقات عديدة، كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً﴾ [الأعراف: 69]. وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأنفال: 26⁽¹⁾].

سِرُّ التَّعْبِيرِ عَنِ الدُّعَاءِ بِفِعْلِ الْقَوْلِ ماضياً:

في التعبير بالقول دون الدعاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾، التذكير بما وقع في هذا الوقت؛ أي: وقت قوله ﷺ، من مقالاته على نهج التفصيل، والمراد بهذا القول: الإفصاح باللسان لتأكيد ما سلف من تعجبه ﷺ، ببيان فن آخر من جنائياتهم، حيث كفروا بالنعم العامة وعَصَوْا أباهم إبراهيم ﷺ، فلم يشكروا النعم؛ بل فعلوا ما هو أدهى وأمر، وهو عبادة الأصنام. ولذلك جاء التعبير بصيغة الماضي، فقد حصل منهم العصيان، وتحقق منهم الكفر البواح بعبادة غير الله، الذي شرفهم بإسكانهم مكة، وجعلها مكاناً آمناً لإقامة دين الله ورسالة أبيهم إبراهيم ﷺ، لا لجحود تلك النعم واستبدال البلد الحرام بدار البوار⁽²⁾.

إيثار الدعاء بالرُّبُوبِيَّةِ ﴿رَبِّ اجْعَلْ﴾:

ورد دعاء إبراهيم ﷺ بلفظ الرُّبُوبِيَّةِ، دون الألوهيَّةِ (اللهم)؛ لأنَّ المنافع التي من الله عليهم بها من الإسكان في مكة المكرمة، مع ما أسبغهُ عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، كالأمن والأمان، والرزق الوفير من الثمرات، وهَوِي قلوب الناس إليهم من كل أوب سحيق، هذا كله من معاني الرُّبُوبِيَّةِ التي كانوا يؤمنون بها، وفي ذلك تذكير لهم بما هم به مؤمنون، وبما هم فيه يرفلون من النعم التي خلقها الله لهم، وأفاض عليهم بها⁽³⁾.

اتِّبَاعُ نَهْجِ
التَّفْصِيلِ
بِالْقَوْلِ، وَتَحَقُّقِ
مُضْمُونِهِ

تذكيرُ المشركين
بما هم به
مؤمنون،
ولكنهم
بمقتضياتِهِ
كافرون

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/238.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/266 - 267.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/50.

اللَّهُ تَعَالَى أَقْرَبُ
إِلَى الْمَرْءِ مِنْ حَبْلِ
وَرِيدِهِ

بَلَاغَةُ الْحَذْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبِّ﴾:

قوله تعالى: ﴿رَبِّ﴾ مُنَادَى مَحذُوفٌ مِنْهُ حَرْفُ النِّدَاءِ وَيَاءُ الْمُتَكَلِّمِ، وَأَصْلُهُ: (يَا رَبِّي)، وَالسَّرُّ الْبَلَاغِيُّ فِي حَذْفِ (يَا) النِّدَاءِ قَبْلَ ﴿رَبِّ﴾ الْمَبَالِغَةُ فِي تَصْوِيرِ قُرْبِ الْمُنَادَى؛ إِذْ إِنَّ مَعْنَى الرَّبِّ: الْخَالِقُ وَالْمُرَبِّي وَالسَّيِّدُ وَالْمَالِكُ، وَهُوَ بِهَذِهِ الْمَعَانِي مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا، لَا يَحْتَاجُ فِي نِدَائِهِ إِلَى وَسَائِطٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [اق: 16]، ثُمَّ إِنَّ كَلِمَةَ ﴿رَبِّ﴾ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا مِنْ غَيْرِهَا فِي الدُّعَاءِ، فَرَوَعِي فِيهَا مِنْ جِهَاتِ التَّخْفِيفِ مَا يَجْعَلُهَا أَطْوَعَ فِي الْأَلْسِنَةِ، وَأَسْهَلَ فِي مَجَارِي الْحَدِيثِ⁽¹⁾. فَحُذِفَتْ يَاءُ النِّدَاءِ قَبْلَهَا، وَيَاءُ الْمُتَكَلِّمِ بَعْدَهَا⁽²⁾.

إِيثَارُ اسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ ﴿أَجْعَلْ﴾:

الفعلُ (جَعَلَ) مِنْ أَفْعَالِ التَّحْوِيلِ فَهُوَ يَقْتَضِي تَحْوِيلَ الْأَمْرِ مِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ أُخْرَى، أَوْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَهَذَا - فِي السِّيَاقِ - اقْتَضَى الْفِعْلُ تَحْوِيلَ وَتَصْيِيرَ الْبَلَدِ مِنْ بَلَدٍ غَيْرِ آمِنٍ إِلَى بَلَدٍ آمِنٍ تَحْوِيلًا كُلِّيًّا، وَلِذَلِكَ نَصَبَ مَفْعُولَيْنِ اشْتَيْنَ: الْأَوَّلُ: ﴿الْبَلَدَ﴾، وَالثَّانِي: ﴿ءَامِنًا﴾، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةِ وَقْوَةٍ فِي الْمَعْنَى الْوَارِدَةِ فِي السِّيَاقِ، وَهَذَا مَا لَا يَحَقِّقُهُ الْفِعْلُ (أَمَّنَ)، فَلَمْ يَقُلْ: (أَمَّنْ هَذَا الْبَلَدَ).

فَائِدَةُ اسْمِ الْإِشَارَةِ:

اسْمُ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ هُوَ اسْمٌ مَعْرُفٌ، يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ تَتِمُّ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ، وَجَاءَ ذِكْرُ اسْمِ الْإِشَارَةِ ﴿هَذَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ تَتِمُّ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ بِإِشَارَةِ حَسْبِيَّةٍ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُعَدُّ رَمْزًا لِلدَّلَالَةِ وَالتَّعْبِيرِ عَنْ أَنَّ الَّذِي غَابَ عَنِ الْجُمْلَةِ نَقَصَ بَغْيَابَهُ

تَحْوِيلُ الْبَلَدِ
آمِنًا كُلِّيًّا مَقْصَدٌ
عَلِيٌّ وَمَطْلَبٌ
سَنِّيٌّ

كَمَالُ الْعِنَايَةِ
بِالْمُشَارَةِ إِلَيْهِ
وَتَعْظِيمُهُ

(1) عبد العظيم الطعنني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: 2/7 - 8.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/238.

معناها، وأصبحت مُبهمَةً، فوردَ اسمُ الإشارة **﴿هَذَا﴾** هنا لِيُشيرَ إلى شيءٍ لم يُذكرِ اسْمُهُ، ولكنَّهُ يُشيرُ بوصْفِهِ إلى كمالِ العنايةِ به وتعظيمِهِ، لَرَفِيعِ مَقَامِهِ وَمَنْزِلَتِهِ⁽¹⁾.

نُكْتَةُ تَعْرِيفِ **﴿الْبَلَدِ﴾** هُنَا، وَتَنْكِيرُهَا فِي **﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾**:

التَّعْرِيفُ للكلمة **﴿الْبَلَدِ﴾** في قوله تعالى: **﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ لَعَهْدٍ؛ لِأَنَّهُ مَعَهُودٌ الْحُضُورِ، وَجَاءَتْ حِكَايَةُ دُعَائِهِ بِدُونِ بَيَانِ الْبَلَدِ إِبَاهَامًا يَرِدُ بَعْدَهُ الْبَيَانُ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾**، أَوْ هُوَ إِحَالَةٌ عَلَى مَا فِي عِلْمِ الْعَرَبِ مِنْ أَنَّهُ مَكَّةُ. وَالتَّنْكِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾** [البقرة: 126] تَنْكِيرُ النَّوعِيَّةِ، فَهَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾** دَعَا إِبْرَاهِيمَ ﷺ لِلْبَلَدِ بِأَنْ يَكُونَ أَمِنًا؛ بِأَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ صِفَةٍ كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْخَوْفِ إِلَى ضِدِّهَا مِنَ الْأَمْنِ، كَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ بَلَدٌ مَخُوفٌ فَاجْعَلْهُ أَمِنًا. وَفِي مَقَامِ التَّنْكِيرِ دَعَا لِمُشَارِ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَوْعِ الْبِلَادِ الْآمِنَةِ الَّتِي يَأْمَنُ أَهْلُهَا وَلَا يَخَافُونَ، فَمَالَ الْمُفَادَيْنِ مُتَّحِدًا⁽²⁾.**

دَعْوَةُ الْأَمْنِ
بِالْإِخْرَاجِ مِنْ
صِفَةٍ كَانَ عَلَيْهَا
مِنَ الْخَوْفِ إِلَى
ضِدِّهَا

دَلَالَةُ عَطْفِ **﴿وَأَجْنُبْنِي﴾** دُونَ غَيْرِهِ:

دَلَّ عَطْفُ **﴿وَأَجْنُبْنِي﴾** عَلَى مَنَاسِبَةِ جَمَلَتِهِ عَلَى مَا سَبَقَهَا، فَلَمَّا دَعَا بِالْأَمْنِ مِنْ فُسَادِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْدَانِ، بِقَوْلِهِ: **﴿رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾** [البقرة: 126]، اتَّبَعَهُ بِالْأَمْنِ مِنْ فُسَادِ الْأَدْيَانِ، فَقَالَ: **﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾**⁽³⁾، فَالْأَمْنُ وَالتَّوْحِيدُ عِمَادَا الْعَيْشِ، وَقَوَامَا الْحَيَاةِ.

عَطْفُ الْأَمْنِ
الدِّينِيِّ عَلَى
الْأَمْنِ الدُّنْيَوِيِّ

إِثَارَةُ اسْتِعْمَالِ لَفْظِ **﴿وَأَجْنُبْنِي﴾**:

أَثَرَ السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ اسْتِعْمَالَ لَفْظِ **﴿وَأَجْنُبْنِي﴾**؛ لَدَلَالَتِهِ عَلَى

(1) للراغبي، علوم البلاغة، ص: 115.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 2/379، وَالْفَخْرُ الزَّازَنِيُّ، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 19/100.

(3) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدُّرَرِ: 10/425.

الابتعاد التام
عن عبادة
الأصنام،
والثبات على
ذلك، منتهى
الاخلاص

إظهار الحاجة
لعظمة الله
لإبراهيم وبنيه
من الشرك

من مظاهر
تكريم المؤمنين
تخصيصهم
بالدعاء

الإبعاد الكلي والصرف التام عن عبادة الأصنام، سواء بصناعتها، أو جلبها، أو بيعها وشرائها، أو السجود لها وطلب العون منها، وجميع ما يدخل تحت معنى عبادتها، وهذه المعاني لا يحققها إلا الفعل **﴿وَأَجْنِبْنِي﴾** ⁽¹⁾، ويراد باجتنابها هنا كذلك معنى: ثبتنا وأدمننا على اجتناب عبادتها ⁽²⁾.

نكتة تخصيص الدعاء، ثم تعميمه:

معلوم أن الأنبياء ﷺ لا يعبدون الوثن أو الصنم البتة، وبناءً عليه: فإن تخصيص نفسه ﷺ بالدعاء في قوله: **﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾** مبتدئاً به بصيغة الإفراد، وإن كان يعلم أنه تعالى يعصمه من عبادة الأصنام، إلا أنه ذكر ذلك هضمًا للنفس، وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب، وهذا يقتضي إفراط خوفه على نفسه ﷺ ومن تحمّل مسئوليته.

ويمكن أن يكون المراد هنا بقوله: **﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾** العصمة من الشرك الخفي الذي فيه تعلق القلب بالوسائط والأسباب الظاهرة. والتوحيد المحض هو أن ينقطع نظره عن الوسائط، ولا يرى متصرفاً سوى الحق ﷻ ⁽³⁾.

والفائدة في هذا الدعاء عين الفائدة التي تقدمت في قوله: **﴿وَأَجْنِبْنِي﴾**، وحتى يعم هذا الدعاء وتتحقق الفائدة منه له ﷻ، ولبنيه من بعده ⁽⁴⁾.

إثارة استعمال **﴿وَبَنِيَّ﴾** بدلاً من **﴿ذُرِّيَّتِي﴾**:

آثر السياق استعمال **﴿وَبَنِيَّ﴾** دون **﴿ذُرِّيَّتِي﴾** لأسباب ثلاثة: الأول: أنه أراد بنيه من صلبه. والثاني: أنه أراد أولاده وأولاد أولاده؛ أي:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/425، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/267 - 268.

(2) الزجاج، معاني القرآن: 3/164، والزمخشري، الكشاف: 2/379.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/341، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/101.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/101.

مَنْ كَانُوا مُوجُودِينَ حَالَ الدُّعَاءِ، وَلَا شُبْهَةٌ هُنَا فِي أَنَّ دَعْوَتَهُ مُجَابَةٌ فِيهِمْ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَعْْبُدْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ صَنَمًا. وَالثَّالِثُ: أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ مَخْتَصٌّ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَوْلَادِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، وَأَمَّا لَوْ قَالَ: (ذُرِّيَّتِي) فَهَذَا يَصْدُقُ عَلَى جَمِيعِ بَنِيهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ بَنِيهِ مَنْ عَبْدَ الْأَصْنَامِ، وَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ، فَلَمْ يَكُونُوا فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ مِنْ بَنِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّبِعُوهُ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى لِنُوحٍ ﷺ فِي ابْنِهِ الْكَافِرِ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود: 46)⁽¹⁾.

براعة الأنسجام الصوتي: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِي﴾:

يُظْهَرُ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ ﴿وَأَجْنُبْنِي﴾ وَ﴿وَبَنِي﴾، مَا يُشَبِّهُ الْجِنَاسَ غَيْرَ التَّامِّ، فَقَدْ تَمَاثَلَتِ الْأَحْرَفُ الثَّلَاثَةُ: النُّونُ وَالْبَاءُ وَالْيَاءُ، مَعَ اتِّحَادِ مَخَارِجِ كُلِّ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ، مَا يَجْعَلُ نُطْقَ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ يُجَسِّدُ انْسِجَامًا صَوْتِيًّا بَيْنَ الْكَلِمَاتِ؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى دُخُولِ لَفْظِ ﴿وَبَنِي﴾ فِي دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ ﴿وَأَجْنُبْنِي﴾، وَكَأَنَّهُ دَعَا لِبَنِيهِ مَرَّتَيْنِ، أَوَّلَاهُمَا ضَمَّنَ يَاءَ التَّكْلُمِ، وَالْأُخْرَى بِالتَّصْرِيحِ، وَهُوَ مَا هَدَفَ إِلَيْهِ السِّيَاقُ هُنَا فِي اسْتِعْمَالِ ﴿وَأَجْنُبْنِي﴾ وَ﴿وَبَنِي﴾؛ إِذْ يَتِمُّ التَّوَافُقُ بَيْنَهُمَا، وَيَحْدُثُ شَدُّ وَجَذْبٌ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحَاوِلُ أَنْ يُمَازِلَ الْآخَرَ وَأَنْ يَكُونَ مُعَاضِدًا لَهُ، فَجَاءَ التَّخْصِيصُ بِالنَّفْسِ فِي ﴿وَأَجْنُبْنِي﴾، وَلَحِقَ بِهِ التَّعْمِيمُ فِي ﴿وَبَنِي﴾، مَعَ اسْتِعْمَالِ نَفْسِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ التَّابِعَةِ لَهَا؛ لِيَتَحَقَّقَ بِذَلِكَ التَّمَاثُلُ فِي الدُّعَاءِ، وَهُوَ أَنْ يُجَنَّبَ إِبْرَاهِيمَ وَبَنِيهِ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ⁽²⁾.

علة العدول عن المصدر الصريح إلى المؤول:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِالمَصْدَرِ الْمُؤُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

دعاء إبراهيم
لبنيه
ينسجم والفطرة
السليمة، وقد
ذكر تلميحا
وتصريحا

احتمالية وقوع
عبادة الأصنام

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/102.

(2) الشَّابِّ، أَثَرُ الْقَوَائِنِ الصَّوْتِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْكَلِمَةِ، ص: 67، وَكَمَالُ بَشَرٍ، عِلْمُ الْأَصْوَاتِ، ص: 119،

وَانْتِصَارُ عُثْمَانَ، الْقَضَايَا الصَّوْتِيَّةُ وَالذَّلَالِيَّةُ فِي كِتَابِ الْحَتْسَبِ، ص: 72 - 75.

دون المصدر الصريح: (عبادة الأصنام)؛ لأنَّ الحَدَّثَ هنا - كما يقتضيه السياق القرآني - قائمٌ بأركانه: الفاعلُ (المُسْنَدُ إليه)، والحَدَّثُ (المُسْنَدُ)، وهو مرتبطٌ باحتمالية الوقوع؛ أي: وقوع عبادة الأصنام، وقد كان من بنيهِ مَنْ عبدَ الأصنام، وهم مُشْرِكُو مَكَّةَ، وهذا أمرٌ غيبيٌّ لا يعلمه إلاَّ اللهُ تعالى على وجهِ اليقين، وليس لإبراهيمَ ﷺ الجزمُ بوقوعِ الحَدَّثِ لا محالةً، وهو عبادةُ الأصنام ممَّن يعيشُ مستقبلاً من بنيهِ في مَكَّةَ⁽¹⁾.

نوع (ال) في ﴿الْأَصْنَامُ﴾، ودلالاتها:

(ال) في ﴿الْأَصْنَامُ﴾ للعهد؛ أي: أصنام قوم نوح، وهي التي وردَ ذِكْرُها في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23]⁽²⁾.

(ال) للعهد،
وهي الأصنام
التي عبدها قومُ
نوح، أو لجنسِ
الأصنام

ويمكنُ أن تكونَ (ال) للجنس؛ أي: جميعُ الأصنام؛ أي: مَنْ يصدِّقُ عليه أنَّه صَنَمٌ، فإنَّ الصَّنَمَ: هو صورةٌ، أو حجارةٌ، أو بناءٌ يتَّخذُ معبوداً ويُدعى إلهاً⁽³⁾.

❁ الفرقُ المُعْجِيةُ:

الأمنُ والاطمئنانُ:

أصلُ الأمن: طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وزوالُ الخَوْفِ، والأَمْنُ والأَمَانَةُ والأَمَانُ في الأصلِ مصادر. قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: 125]، وقوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: 154]؛ أي: أَمْنًا⁽⁴⁾. والاطْمَأْنِينَةُ والاطْمِئْنَانُ: السُّكُونُ بعدَ الانزعاجِ، قالَ

الأمنُ طُمَأْنِينَةُ
النَّفْسِ،
والاطْمِئْنَانُ
سكونُها بعدَ
انزعاجٍ

(1) أحمد عبد السلام، العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول في القرآن الكريم: حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد: 35، جامعة الكويت، وجمال الحقادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم، ص: 191.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/239.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/341، والبقاعي، نظم الدرر: 10/425.

(4) الرَّاغِب، المفردات، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (أمن).

تعالى: ﴿وَلِتَظْمِنَ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: 10]، وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيَهَا
النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ [الفجر: 27]، وهي ألا تصير أمارَةً بالسَّوء. وقال
تعالى: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَظْمِينَ الْقُلُوبِ﴾ [الرَّعد: 28]، وأطمأنَّ وتَطمَنَ
يتقاربان لفظًا ومعنى⁽¹⁾. ولما كان العيش الرِّغيد المبتغى في البلدان
يناسبه طُمأنينةُ النَّفسِ وزوالُ الخوفِ الدَّائمِ، لا السَّكونُ بعدَ
الانزعاجِ العارض؛ اصطفَى لفظُ الأَمْنِ.

الاجتناب والتَّركُ:

الاجْتِنَابُ: الابتعادُ والتَّركُ بالكُلِّيَّةِ، وتجنُّبُ الشَّيءِ: تحيُّتهُ
وجَعْلُهُ في ناحيةٍ منه وجانبًا، قال ﷺ: ﴿وَأَجْتَنِبُوا الظُّلُوعَ﴾ [التَّحِل: 36]،
وقال ﷺ: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾⁽²⁾.

الاجْتِنَابُ
التَّركُ بالكُلِّيَّةِ،
والابتعادُ التَّامُّ

وَتَرَكُ الشَّيءِ: رَفُضُهُ قَصْدًا وَاحْتِيَارًا، أو قَهْرًا واضطرارًا؛ فَمَنْ
الْأَوَّلُ: ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدُّخان: 24]، وَمِنْ الثَّانِي: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ
جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدُّخان: 25]، وقد يُقَالُ لكلِّ فعلٍ ينتهي به إلى حالةٍ ما:
ترَكْتُهُ كَذَا، أو يجري مجرى جعلتُهُ كَذَا. والتَّركُ عند العربِ تخليْفُ
الشَّيءِ في المكانِ الَّذِي هو فيه والانصرافُ عنه، ولهذا يُسمَّونَ بيضةَ
النَّعَامَةِ إذا خرجَ فرحُها: تَريكة؛ لأنَّ النَّعَامَةَ تنصرفُ عنها، ومنه
تَركةُ فلانٍ: لما يَخْلُفُهُ بعدَ موته⁽³⁾. ولما كان مقصدُ إبراهيمَ ﷺ نَبَذَ
عبادةَ الأصنامِ بالكُلِّيَّةِ، بوصفِها أصلَ نواقضِ التَّوْحِيدِ، اختيرَ لفظُ
الاجتنابِ.

(1) الرَّاغِبُ، المُفْرَدَاتُ، والفيروزآبادي، القاموس المحيِّط: (طمن).
(2) أبو عُبيدة، مجاز القرآن: 1/342، والرَّاغِبُ، المُفْرَدَاتُ: (جنب).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 124، والرَّاغِبُ، المُفْرَدَاتُ: (ترك).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 25، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-22-7

يشتمل على ارجاعات بيبليوجرافية.

مج. 25: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-22-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»